

# موروث علم الفلاحة القديم وعلاقته بنشأة علم الفلاحة العربي الإسلامي

مدرس مساعد / قيس فالح ياسين  
كلية الامام الكاظم "ع" للعلوم الاسلامية الجامعة

## تمهيد:

يمثل علم الفلاحة أو ما يطلق عليه العمران الزراعي ، في المجتمعات الزراعية القديمة قوام هذه المجتمعات واستمرارها، فالحاجة إليه تدخل في كل الأمور المعاشية، حيث تنفرع عنه الكثير من المهنّ والصناعات التي تساهم في الأزدهار الحضاري. ونلاحظ، إن المجتمعات الزراعية القديمة تقيم توازن حياتها على مايقدمه الفلاح والفلاحون أو يرتبط استمرار واستقرار نظامها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي من عدمه مقروناً باستقرار العملية الإنتاجية الزراعية، إذا فالتقدم الحضاري مقترن في المجتمعات الزراعية القديمة في استمرار تدفق الانتاج الزراعي كماً ونوعاً، وتقع مهمة تطويرة على مايساهم فيه المختصين في هذا المجال في حفظ وتدوين خبرات الشعوب في هذا المجال.

وقد تناول الباحث في هذا البحث التطور التاريخي عن الشعوب والامم في مجال التأليف والإبداع في مجال علم وفن الفلاحة، وتضمن البحث : تمهيد وثلاثة محاور (مباحث) وخاتمة ، المحور الأول: موروث علم الفلاحة في الحضارات القديمة، ثانياً: نشأة علم الفلاحة العربي الإسلامي ومصادره، ثالثاً: كتب علم الفلاحة العربي الإسلامي.

وفي رأي الباحث أن الاهتمام في علم الفلاحة والعمران الزراعي يعد من أوليات المجتمعات القديمة، فقد أهتمت في التأليف والتصنيف والتدوين في هذا العلم الذي يرتبط بحياة الإنسان ودوام بقائه واستمراره في العيش والتقدم والرقي الحضاري.

## أولاً : موروث علم الفلاحة في الحضارات القديمة

يعد الموروث القديم الذي أبدعته الحضارات المتعاقبة مثل حضارة وادي الرافدين وحضارة وادي النيل ، وحضارات مثل اليونانية والرومانية والهندية والصينية والفارسية وعلى تخوم حوض البحر الأبيض المتوسط ، من أقدم الممارسات التي زاول الإنسان من خلالها النشاط الزراعي والإهتمام بالأرض والإنتاج الزراعي . فمنذ أن أتخذ الإنسان لنفسه تجماعات صغيرة ، بدأت معه رحلته في تطوير أساليب الزراعة والري ووسائل حفظ المحصول الزراعي وحصاده وخرنه .

وقد شكلت هذه الممارسات النواة الصلبة التي قامت عليها المعارف بشؤون علم الفلاحة ونشأته ، وكان للعامل الديني – العقائدي والرؤية الأسطورية مساهمة دالة على عناية الآلهة في خلق البذور الأولى والنبات والشجر وهدى الإنسان أو أهداؤه ومنحه اللآلات الزراعية المهمة في عملية الزراعة والفلاحة كما في حضارة وادي الرافدين حيث تمثل الفأس هدية الآلة للإنسان كي تكون له عون في مهمته في عمارة الأرض بالزراعة ونشاطها بمختلف فعالياته ، ومن هذا المنطلق فإن تغيير الإنسان من جامع إلى منتج يمثل حدثاً تاريخياً<sup>(١)</sup> .

وتفاوتت المعارف الزراعية في العالم القديم حسب تطور كل حضارة مع مراعاة عوامل البيئة الطبيعية وما توفره للإنسان من سهولة في التعامل أو صعوبتها ، وقد لاحظ أغلب الباحثين والمؤرخين الذين أهتموا بنشاطات الإنسان الأولى ، لاسيما في الزراعة أنه (أكتشفت في أماكن مختلفة من العالم دون الحاجة إلى إنتشار حضاري ، إلا أن ما عندنا من الأدلة يؤكد أن الزراعة في بداياتها قد إنتشرت من الشرق الأوسط في إتجاهات مختلفة من العالم وقد حدث ذلك أيضاً مرة أخرى حينما أكتشفت زراعة المحراث في الشرق الأوسط)<sup>(٢)</sup> .

إذا ، يعد إنتشار الزراعة واستئناسها وتدجين النبات بمختلف أنواعه عدده الباحثين خطوة موعلة في القدم تضافرت عليها عوامل مختلفة وتطورت من الزراعة باليد إلى المحراث إلى أشكال أكثر قوة ومتانة في الإنجاز مع تطور عقل الإنسان ونشاطه ومهاراته .

إما أول ما وصلنا من مدونات تخص علم الفلاحة ، فيبدأ مع بداية ظهور الكتابة في بلاد الرافدين في بلاد سومر حيث نجد أول المدونات على ألواح الطين والرُقم الطينية المفخورة ، التي وجدها الباحثون في بلاد وادي الرافدين ، حيث يلاحظ وجود النواة الأولى لمبادئ علم فلاحه سومري ، والتي يلاحظ تجانس هذا العلم مع العقائد الدينية عند السومريين فالآلهة هي الواهبة للخيرات ، فيذكر أن الآلة (إنكي) ينظم مزرعة الدنيا ومن ثم ينصرف إلى شؤون الزراعة فيعنى بالمحراث ويشق خطة في الأرض وينمي الحب في الحقل ويقيم العنابر الواحد لصق الآخر<sup>(٣)</sup> .

(١) رياض ، محمد ، الإنسان (دراسة في النوع والحضارة) ، ط٢ ، (دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٤م) ، ص٤٢٩ .

(٢) رياض ، محمد ، الإنسان ، ص٤٣٤ .

(٣) جاكيسبون ، وآخرون ، ما قبل الفلسفة ، ترجمة : جبرا إبراهيم جبرا ، ط٣ ، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٢م) ، ص١٨٩ .

وقد ذكر صموئيل كريمر مؤرخ السومريات وصية فلاح إلى ابنه أطلق عليها ((تقويم الفلاحة)) وهي تقع في مائه ونيف سطر ، فيها وصايا وجهها فلاح مجرب إلى ابنه في كيفية الإعتناء بالزراعة وتنظيم المياه وشق القنوات وكل ما تقتضيه عملية الفلاحة والعناية بالزرع في كل المواسم ، وعدت هذه الوثيقة الثمينة أقدم ما وصلنا من وصايا في علم الفلاحة المدون<sup>(١)</sup> .

وذكر أيضا قصيدة ((خلق الفأس)) والتي تتألف من (١٠٨) سطور وهي كاملة حيث تذكر القصيدة كيف منحت وأعطت الآلهة (الإله إنليل) الفأس إلى ذوي الرؤوس السود ليمسكوا بها ، حيث جاء في المقطع من القصيدة : الفأس والسلّة تبني المدن ، الدار الثابتة الأركان بنتها الفأس ، الدار الثابتة الأركان أنشأتها الفأس<sup>(٢)</sup> .

وتطالعنا الأدبيات السومرية على أهمية الفلاحة في عمارة الأرض وانتشار الخيرات في ربوع الأرض . وهناك حوارية دالة على أهمية شخصية الفلاح في مقارنته بالراعي هذه المفاضلة التي أجرتها آلهة الخصب والنماء والحب عشتار بينهما (الفلاح - الراعي) وتعدد فيها خصائص كل شخصية منهما وأكثرهم نفعاً وخيرات لبني البشر لتختار الفلاح لما يمتاز به من خير عميم لأهل الأرض وذويه وهذه الحوارية ترفع من شأن الفلاح ونشاطه وفائدته وكأنها صراع بين حضارتين حضارة الرعي والترحال وعدم الاستقرار وحضارة الفلاحة حيث إعمار الأرض وتشديد البيوت الاستقرار في الأرض وعمارها<sup>(٣)</sup> .

ومن المكتشفات التاريخية ما وجد في مدن سومرية عديدة مثل نقر والوركاء وأور وأريدو وأشور وغيرها . فقد عثر على الألواح تهتم بشؤون الزراعة ، وتدون للمواسم وأوقات الزرع والقيام بأمر الضياع والعاملين بها من تنظيم الشؤون والأنشطة كافة .

وهناك الكثير مما (ورد في المدونات السومرية أيضا أن السومريين قاموا باستصلاح بعض أراضي الأهوار في جوار بلدة أور ما يدل على أن المنطقة التي تكون بعض هور الحمار حالياً كانت مستنقعا ذا مياه عذبة)<sup>(٤)</sup> . وهناك أعمال وهندسة إروائية تشكل شبكة من النواظم المهمة في حياة العراقيين القدماء أنجزوها من أجل الزراعة وتطوير النشاط الاقتصادي الزراعي كما تدل على ذلك ما كتبه أحمد سوسه في هذا المجال<sup>(٥)</sup> .

ومع تعاقب الحضارات في وادي الرافدين تطورت معه الاهتمام بشؤون الفلاحة والزراعة وأخذت المدونات والوصايا والأشعار والأساطير تتراكم ، وظهرت في حقب

(١) كريمر ، صموئيل ، السومريون (تاريخهم ، حضارتهم ، خصائصهم) ، ترجمة : فيصل الوائلي ، (وكالة المطبوعات الكويت ، د.ت) ص ٤٩٢ - ٤٩٥ .

(٢) كريمر ، صموئيل نوح ، الأساطير السومرية ، ترجمة : يوسف داود عبد القادر ، (جمعيه المترجمين العراقيين . بغداد ، ١٩٧١م) ، ص ٨١ - ٨٣ .

(٣) ديوان الأساطير (سومر أكاد آشور) الكتاب الأول ، ترجمة : قاسم الشواف ، ط ٢ ، (دار الساقى ، بيروت ١٩٩٦م) ، ص ١٠٧ - ١١٤ .

(٤) سوسة ، أحمد ، تأريخ حضارة وادي الرافدين ، (دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٣م) ، ج ١ ، ص ٨٦ .

(٥) ينظر : سوسة ، أحمد ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٠٦ وما بعدها .

لاحقة القوانين التي تنظم علاقات النشاط الزراعي والاقتصادي وعلاقات رب الضياع بالفلاحين والعاملين بالأرض والنشاط الزراعي ، وسنت القوانين والعقوبات بهذا الشأن، وربما عن هذا التراكم المعرفي في وادي الرافدين انبثقت وتمخضت مدونة الفلاحة النبطية الذي عده أغلب الباحثين نتاج الحضارات العراقية القديمة ، والتي توارثتها الأجيال ، حتى ترجمته إلى اللسان العربي ودخل في حيز التداول الثقافي في التراث العربي الإسلامي ، ليكون المنطلق والعتبة الريادية في توسع علم الفلاحة من خلال إستلهاهم جل من كتب في علم الفلاحة عن هذا الكتاب ، ويبقى مؤلف الفلاحة النبطية الشاهد الأهم على غنى علم الفلاحة عند العرب ، وكذلك يبقى كتاب الفلاحة النبطية المرجع الأساسي والانموذج للمهندسين الزراعيين العرب ، لأنه يبدو الأغنى والأشمل في تصنيف النبات<sup>(١)</sup> .

إما علم الفلاحة في حضارة وادي النيل ، فقد توفرت عن تلك الحضارة الكثير من المدونات التي حفظتها لنا ذاكرة التاريخ ، ففي الموروث العقائدي – لديني تمثل الآلهة المصرية القديمة هي المعلم والمرشد للإنسان في تعلم فنون الزراعة وعلم الفلاحة (إن الآلهة المصرية هي علمت البشر الفلاحة)<sup>(٢)</sup> . وكانت من هبة النيل ووفرة الأراضي الخصبة ان انتجت محاصيل زراعية كثيرة وطبقت عمليات تقنية في الري والقنوات والنواظم ساهمت في بروز علم الفلاحة والاهتمام به إلى أن أخذ حيزاً مرموقاً لأن النبات يدخل في معظم وجل طقوس وشعائر الدفن والعقائد الدينية، في صنع المراهم والترياق ومواد التحنيط وما يرافق كل هذه الطقوس المقدسة في مصر القديمة.

لهذا أصبح من المحتم في حضارة مصر القديمة الاهتمام بالزراعة والفلاحة وخصائص كل نبات لدخولها في الطقوس الدينية ، ومن تراكم هذه الخبرات أصبح معه دور علم الفلاحة في مصر دوراً رائداً وتأثيرها واضحاً وكان هذا التأثير (الأقوى يتجلى من خلال تبني اليونانيين للتقنيات الزراعية الفرعونية)<sup>(٣)</sup> ، فالنشاطات الزراعية كانت العامل الوحيد والحاسم في الاقتصاد القديم حيث (كانت الفلاحة من أهم الأنشطة الاقتصادية في منطقة الهلال الخصيب وكانت من الأسباب الرئيسية وراء قيام أكبر الإمبراطوريات الزراعية منذ الألفية قبل المسيح في بلاد الرافدين وبلاد النيل)<sup>(٤)</sup> .

ويذكر الباحث الطرابلسي، في أن المعارف والعلوم قد انتقلت من النيل وبلاد الرافدين إلى اليونان وصولاً إلى الرومان . ولكنه يعطي أهمية لليونانيين على حساب العراقيين والمصريين ثم ثمن جهد الرومان على حساب إسلافهم اللاتينيين وهو بذلك قد أكد انتقال مراكز العلوم من الجنوب والشرق نحو الشمال وهي فكرة ترسخت في القرن العشرين لدى الكثير من الباحثين مفادها ان مركز الثقل الحضاري يتحرك نحو الشمال.

(١) فهد ، توفيق وآخرون ، موسوعة تاريخ العلوم العربية ، إشراف : رشدي راشد ، ط ١ ، (مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٧م) ، ج ٣ ، ص ١٠٤٠ – ١٠٤١ .

(٢) الطرابلسي ، بوراوي ، نشأة علم الفلاحة العربي ، ط ١ ، (دار الجنوب ، تونس ، ٢٠٠٦م) ، ص ٣٤ .

(٣) الطرابلسي ، بوراوي ، نشأة علم الفلاحة العربي ، ص ٣٤ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٤٦ .

وقد تبنى كثير من الباحثين في هذا الشأن عين وجهة النظر هذه ، على الرغم من إن التاريخ وتاريخ الحضارات يقر بأنه(ظهرت على ضفاف دجلة والفرات والنيل أهم الإمبراطوريات الزراعية – المائية ، تميز زراعتها بتعاطيهم للزراعات السقوية حتى أنهم نجحوا في استنباط تقنيات جديدة لري المزارع والبساتين . هذه ما نجده في بعض النقوش الفرعونية وفي بعض اللوحات المسمارية المهمة بالفلاحة)<sup>(١)</sup>.

إذا إن انبثاق علم الفلاحة في موروثه القديم كان مخاض حضاري في حضارتي وادي الرافدين ووادي النيل ، فقد ابتكرت كلا الحضارتين أول الإبداعات في هذا المجال من تنظيم الري والنواظم ووضع القوانين وإصلاح الضياع والروزنامات الزراعية لمعرفة بدقة أهم المواسم الزراعية في كيفية زرع المزروع في أوقاتها المحددة ، وما يصلح لها من سقي ، ومراعاة عوامل الطبيعة حيث رصدت الاحوال والانواء الجوية واحوالها ، ومعرفة مواسم المطر من حيث فوائده لكل نبات وأشياء وأمور تخص علم الفلاحة تعاملت معه حضارة وادي الرافدين وحضارة وادي النيل .

إما في حضارتي اليونان والرومان ، فقد كان لهما موروث قيم في الزراعة وعلم الفلاحة وعلم النبات وتنظيم النواظم والسدود وتنظيم الأرياف والضياع ، ويعزي بعض الباحثين حتى يعتبرها مفارقة في التاريخ أن يكون نشأة أول علم للفلاحة على أسس علمية عند اليونان فقد قال الباحث الطرابلسي: (أول مفارقة في تاريخ علم الفلاحة أن تظهر أول النصوص الفلاحية في بلاد الأغرريق)<sup>(٢)</sup> . وقد عزى الباحث ذلك إلى همة اليونانيين في الاهتمام بكل مقومات الحياة بصورة علمية حتى مع وجود طبيعة قاسية فلم (يكن هذه العوائق الطبيعية لم تمنع اليونانيين من وضع مؤلفات في التدبير (أي الاقتصاد) فكان انبعاث النواة الأولى لعلم الفلاحة)<sup>(٣)</sup>.

فقد ذكر توفيق فهد في حديثة عن أهم المصادر الزراعية التي أخذ منها العرب المسلمين معارفهم ومعلوماتهم عن علم الفلاحة ، كتب الفلاحة عند اليونانيين والرومانيين فيقول: (ومن المصادر القديمة المتعلقة بالزراعة في التربة، عرف العرب مجموعة الجورجيك (Georgika) المنسوبة إلى ديمقراطيس والذي طابقه م. إولمان (M. ullmann) مع المندليسي (Bolos demendes) وهو كاتب من القرن الثاني قبل الميلاد . ونجد مقاطع منها في مكتبة باريس الوطنية في المخطوطة العربية رقم (٢٨٠٢) في مخطوطة بيزنطية للقرن التاسع وقد ذكرها كثير من المهندسين الزراعيون العرب ولاسيما الأندلسيون)<sup>(٤)</sup>.

وهناك مجموعة أخرى عرفها العرب وتأثروا بها فقد (عرف العرب أيضا مجموعة السيناغوجية (syuagoge) لُقند انيوس اناتوليوس دوربربتوس ، وهو كتاب من القرن الرابع – الخامس في عصرنا . وقد نقل إلى العربية تحت عنوان ((كتاب الفلاحة)) الذي نجد من مخطوطة عربية منه حسب سزجين . أنها مجموعة ضخمة

(١) المرجع نفسه ، ص ٣١ – ٣٢ .

(٢) الطرابلسي ، بوراوي ، نشأة علم الفلاحة العربي ، ص ٣٣ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٣٤ .

(٤) فهد ، توفيق ، وآخرون ، موسوعة العلوم العربية ، ج ٣ ، ص ١٠٣٩ .

غير معروفة الا جزائيا ، يذكرها المهندسون الزراعيون العرب بكثرة ، إما تحت أسم  
انا توليوس أو حسب ((أولمان)) تحت أسم جو نيوس<sup>(١)</sup> .

وليس الأمر محصورا على كتب الفلاحة التي تأثر بها العرب – المسلمين في  
نشأة علم الفلاحة ، فهناك الكتب الطبية التي أنتجتها حضاري اليونان والرومان حيث  
(يكرس ديوسقوريدس الكاتب من القرن الأول لعصرنا من مواليد عين زرب من  
كيليكييا في كتابة المادة الطبية قسما كبيرا لعلم النباتات حيث يصنفها كما يلي : (عطرية  
، وغذائية ، وطبية ، وسامة ، ويتحدث أيضا عن تكون النباتات وعن علم وظائفها  
وتطورها ولقد ترجم الكتاب إلى العربية وشرح مرات عدة وتعود الترجمة الأولى منه  
إلى عصر المتوكل (٢٣٣-٢٤٧هـ/٨٤٧-٨٦١م)<sup>(٢)</sup> .

وقد تطور علم الفلاحة بفضل إسهامات الفلاسفة اليونانيين من خلال إسهاماتهم  
الجليلة في علم الفلاحة لاسيما النبات ، فيعد كتاب ارسطو طاليس من أهم الكتب التي  
إنجزت في هذا المجال . فقد كانت لهذه الكتاب ترجمات قديمة منها سريانية لا يعرف  
عنها الا شيء قليل ، ونقلنا عن سزكين يقول : وقد ذكر اليعقوبي المؤرخ ترجمة  
بعنوان: ((في الإبانة عن علل النبات وكيفياته وخواصه وعوامه وعلل اعضائه  
والمواضع الخاصة به ، وحرركاته)) وهي بلا شك أقدم من الترجمة التي وصلت إلينا ،  
وهي في الوقت نفسه تدل على ان العرب كان لهم معرفة مبكرة بهذا الكتاب . وقد  
ترجمه اسحاق بن حنين بعنوان آخر ، ثم أصلح ثابت بن قره هذه الترجمة بعنوان:  
(وتفسير كتاب أرسطر طاليس في النبات لنيقولاؤس)) وقد عدة كتاب ارسطو في  
النبات من أهم الانجازات في هذا الباب<sup>(٣)</sup> .

وبشار كذلك الى حصول تفاعل مثمر بين الفلاسفة والأطباء عند اليونانيين  
والرومانيين من أمثال إبقراط وجالينوس اللذان اهتمتا بعلم النبات في مجال صناعة  
العقاقير والادوية وفي مجال المعرفة الفلسفية حول الاخلاط الاربعة وعلاقة النفس  
بالجسم وما إليه .

ومن أجل الوقوف على أثر كتب حضارتي اليونان والرومان في نشأة علم  
الفلاحة العربي لاسيما في الأندلس فقد (أطلع علماء الفلاحة الأندلسيون على مؤلفات  
يونانية ورومانية كثيرة في علم النبات والعلوم المرتبطة به ، واعتمدوا عليها في القيام  
بتجاربهم وفي تأليف كتبهم ، إذ يسمي لنا ابن الحجاج ثلاثة وعشرين عالما من المؤلفين  
اليونانيين والرومان وأطلق عليهم تسمية العلماء المتقدمين منهم : بونيوس وبارون ولا  
قطيوس وبيو دون ، وديمقريطيس وكسينوس وقرورا طيقوس وقسطوس ، وساد  
هموس ، وسمانون وسيداغوس وأبو ليوس وشولسون ، ومهاريس ومرعوطيس  
ومرسال وأنون بروا قطوس)<sup>(٤)</sup> .

(١) فهد ، توفيق ، وآخرون ، موسوعة العلوم العربية ، ج-٣ ، ص ١٠٤٠ .

(٢) المرجع نفسه ، ج-٣ ، ص ١٠٤٢ .

(٣) سزكين ، فؤاد ، تاريخ التراث العربي ، مجلد ٤ ، ص ٤٦٧ .

(٤) حسن ، ياسين خضير ، طرائق واساليب الزراعة والرعي في الاندلس من خلال كتب الفلاحة . (رسالة ماجستير  
غير منشورة) مقدمة إلى (كلية الاداب ، بغداد قسم التاريخ بغداد ٢٠٠٧م) ، ص ٢٦-٢٧ .

ويذكر فؤاد سزكين بعض أهم المصنفين في النبات مثل دياسقوريدس حيث صنف كتاب في العقاقير ذكر فيه خواص النباتات الداخل في هذه الصناعة . وجا لينوس له كتاب في النبات حمل أسمة . وله ((مقاله في استخراج مياه الحشائش)) وكذلك ((مقالة في اللبن)) ومؤلف آخر هو ((أناطيو ليوس)) وصنف كتابا يعد من أوسع الكتب اليونانية فيما يتعلق بالفلاحة . وصنف ابو لونيوس التيناني كتاب في الفلاحة وصل الينا باللغة العربية ، وكذلك صنف قسطوس كتاب في الفلاحة عرف ((بالفلاحة الرومانية)) ولكن سزكين يقول انه لم يحصل على نسخة من هذا الكتاب<sup>(١)</sup> .

ولا تقف علوم الفلاحة المساعدة مثل علم النبات وعلم الادوية والعقاقير والطب عند حد معين في ذلك العصر الذي شهد نقله نوعية في العلوم المختلفة . بل ان عملية التثاقف أصبحت من مميزات تلك العصور ومن سماته الراسخة .

ان كل تلك المصنفات من يونانية ورومانية قد تمخضت عن كتب بالغة الدقة في التخصص في مجالات الفلاحة وعلم النبات والادوية والعقاقير ، ويعد كتاب قسطوس الرومي خلاصة ما جمعة والفة قومه في علمي الفلاحة والنبات وقد ترجمة إلى العربية سرجيس بن هليا<sup>(٢)</sup> .

ان إنجازات الحضارات لا تقف عند حضارة معينة ، بالإبداع والابتكار قديما وحديثا . كما روجت إليها الحضارة الغربية ، حين جعلت من اليونان الحضارة الأم لكل العلوم العقلية والإبداعية منطلقا من مركزيتها الضيقة في ذلك . حتى أطلقت على إبداعات اليونان ((المعجزة اليونانية)) حتى أصبح (الشرق بمنزلة النعمة السلبية للغرب والقرين الأدنى المنفعل بالغرب القادر على الإدارة والتوجيه، وهكذا تبدو ثقافة الشرق كأنها تميزت بخصائص الضعف العاطفي الأنثوي على نقيض القوة العقلانية الذكورية المميزة للثقافة الغرب الذي هو الآخر بالنسبة إليها)<sup>(٣)</sup> .

ولا ينطبق هذا الحكم على حضارة الشرق دون الهند وحضارتها العريقة التي لها إنجازات تتفوق على قريناتها أو تماثلها في العلو والمرتبة ، حتى قال أحد فلاسفة اليونان عنها وهو ديوجانس في ((حياة الفلاسفة)) ان اليونانيين تلاميذ الهند والكلدان ومصر<sup>(٤)</sup> .

إما فيما يخص علم الفلاحة فمن البديهي أن لا تقوم حضارة بدون الاعتناء والنظر والعناية بأهم مقومات قيام الحضارة إلا وهو اقتصادها الزراعي في تنشئته وتطويره . فكان للهند علوما في مختلف المجالات ومنها نبعت الأساطير والعقائد والاهتمام بالحياة والتأملات الروحية والنفسية وتوفر لها إبداعات مختلفة .

فقد عرف عن الهند علم الهندسة وعلم الفلك وعلوم الطبيعة وعلم الحياة وعلم

(١) سزكين ، فؤاد ، تاريخ التراث العربي ، مجلد الرابع ، من ص ٤٦١ - ٤٦٧ .

(٢) سارتون ، جورج ، الثقافة الغربية في رعاية الشرق الاوسط ، ترجمة : عمر فروخ ، (بيروت ، ١٩٦٤م) ، ص ٢١ .

(٣) كلارك ، جي ، جي ، التنوير الآتي من الشرق ، ترجمة شوقي جلال ، ط ١ ، (عالم المعرفة ، الكويت العدد (٣٤٦) ، ٢٠٠٧م) ، ص ١٦ .

(٤) زيعور ، علي ، الفلسفات الهندية ، ط ٢ ، (دار الاندلس ، بيروت ، ١٩٨٣م) ، ص ١٤٤ .

الفلاحة حتى أطلقت على الفلاحة ((الفلاحة الهندية)) تأثرت بها الحضارات المجاورة لها . وكان إتصال المسلمين بالهند وحضارتها باكرا عن طريق التبادل التجاري ، حيث كانت تنقل منها البضائع وتطورت هذه العلاقة مع الامتداد في فتح بلاد السند والهند من قبل العرب المسلمين ، حيث تطورت هذه الصلات بصورة قوية من خلال استفادهم كفاءات من الهند في إبان الخلافة العباسية في بغداد وانتشار الآداب الهندية وبدأ عملية النقل والترجمة<sup>(١)</sup> .

وقد (انتقلت الادبيات العلمية الهندية إلى اللغة العربية عن طريقين : اولا عن طريق جند يسابور الذي كان مركزا للمعارف اليونانية والفارسية والهندية وثانيا عن طريق بغداد وأواخر القرن الهجري الثاني وعرفت ترجمات مباشرة من اللغات الهندية السنسكريتية إلى العربية رأسا<sup>(٢)</sup> . وكان هناك طريق آخر غير مباشر وذلك نقل ثقافتهم بواسطة الفرس فإن الفرس اتصلوا بالهنود اتصالا وثيقا قبل الفتح الإسلامي واثروا وتأثروا بهم واخذوا كثيرا من الثقافة الهندية وأدمجوها في ثقافتهم ، فلما نقلت الثقافة الفارسية إلى العربية كان معنى هذا نقل جزء من الثقافة الهندية في ثناياها<sup>(٣)</sup> .

ويكاد لا يخلو مصدر من مصادر الثقافة العربية الإسلامية من ذكر الثقافة الهندية في الملل والنحل والعقائد والحكمة والطب والرياضيات والفلك .. الخ فقد تأثر علماء العرب المسلمين في مجالات علمية مختلفة بالهند ، ونقلوا وترجموا عنهم في شتى الاختصاصات ، ففي الفلاحة فقد (اعتمد الطغنجري في بعض معلوماته التي أوردها في كتابة ((زهرة البستان ونزهة الأذهان)) على كتاب الفلاحة الهندية إذ اقتبس عنه بعض التقنيات الزراعية مثل طريقة الكتابة على حب اللوز وكذلك طريقة إضافة السماد للتفاح<sup>(٤)</sup> .

وكذلك نرى (أن علماء الفلاحة الاندلسيين كانوا على إطلاع واسع بالمؤلفات الزراعية القديمة للامم والشعوب الأخرى التي من الممكن أن تخدم علمهم فكانوا يأخذون المعلومات ويقومون بتجربتها في الأندلس للتأكد من نتائج تلك التجارب)<sup>(٥)</sup> . واخيراً . ويلاحظ إن الثقافة الهندية قد دخلت إلى مجال التداول الثقافي الإسلامي في وقت مبكر نتيجة تضافر عدة عوامل مهدت إليها ان تنتشر في مجال الفضاء الثقافي العربي الإسلامي في مجالات مختلفة ، وكان علم الفلاحة الهندية من ضمن ما دخل في هذا التداول المعرفي ، وكان له الأثر البارز في التمهيد لنشأة علم الفلاحة عربي – إسلامي كانت له سوابق في محيطه الحضاري الجغرافي والمعرفي ، فلم تكن الثقافة العربية قبل وبعد الإسلام بدون رواكز واسس معرفية في هذا المجال ، فالمجال العربي كانت تحيط به ثقافات متنوعه من اليمن والعراق والشام ومصر وله صلات ، ولكن مع إنبثاق الثقافة العربية الإسلامية تغير الحال واصبحت معه الثقافة العربية الإسلامية

(١) زيعور ، علي ، الفلسفات الهندية ، ص ٣٨١ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٨١ .

(٣) أمين ، أحمد ، ضحى الاسلام ، ط ١٠ ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، (د.ت)) ، ج ١ ، ص ٢٩٩ وما بعدها .

(٤) حسن ، ياسين خضير ، طرائق واساليب الزراعة والرعي في الاندلس ، ص ٢٨ .

(٥) حسن ، ياسين خضير ، طرائق واساليب الزراعة ، ص ٢٨ .

مبدعة وجاذبة للثقافات في الوقت نفسه حتى أصبحت لها الريادة في تصدير ثقافتها من خلال لسانها ولغتها العربية .

### ثانيا : نشأة علم الفلاحة العربي الإسلامي ومصادره .

ومما هو معروف إن الشرق كان غنياً بالحضارات التي أنجزت الكثير من المعارف في مختلف الميادين ، وأصبح عريقاً في فنون العيش والحياة والتحضر والتمدن وكل أسباب الرقي ، الذي جعل من حضاراته الحضارات الأولى التي علمت الناس والأمم والشعوب الكثير مما أنجزته ، وليس هذا الكلام يدعو إلى مركزية شرقية مقابل مركزية يونانية – غربية ، بل من أجل التوثيق التاريخي ، فعلى حوض البحر الأبيض المتوسط وداخل عمق الجغرافية نزولاً نحو الشرق الأوسط والأدنى قامت تلك الحضارات .

إذاً . في تلك المناطق الحضارية ترسخ جانب معرفي مهم في قيام الحضارات إلا وهو الأقتصاد الزراعي والعمران الزراعي ، وأنتجت في ربوع تلك الحضارات تقنيات متقدمة في علم الفلاحة وتراكت خبرات حياتية مدعومة بالتنظير من تراكم تلك الخبرات والمعارف وقد تم بما متاح من وسائل التدوين والكتابة بعد أن أشرقت عصور الكتابة على الإنسان وأصبحت وسيلته الأهم وذاكرته وأرشيفه الذي يحفظ به تلك الخبرات من الضياع والنسيان ، ونقلها من حالة الشفاهية البدائية البسيطة إلى التدوين والكتابة وفق نظام مدروس – أي المواد التي تستحق ان تدون – من الآليات الكتابية . لهذا حفظت لنا مواد مهمة من مظاهر الحضارات القديمة آنذاك .

ورأينا . إن علم الفلاحة كان له نصيباً مهماً من هذا التدوين والحفظ والتطوير وطلعنا على ما دونته الحضارات في هذا الشأن . ولكن ما نصيب المنطقة العربية وشبة الجزيرة العربية من هذا الإنجاز ، وهل كانت تعيش حالة تصحر فقط وأساليب عيش تعتمد على الرعي والتجارة والتبادل بمحاصيل زراعية مع ما يجاورها من أقوام لهم باع طويل في الزراعة ، فالمطلع على جغرافية شبة الجزيرة العربية يلاحظ أنها تحف بها حزام من الحضارات الخضراء مثل وادي الرافدين وبلاد الشام واليمن ووادي النيل . ولا بد أن تكون لهم خبرات زراعية التقطوها بالخبرة والمعاشة الطويلة لأحوال البيئة الطبيعية أولاً . والاستفادة من هذه الحضارات وخبراتها في مجال علم الفلاحة ثانياً .

ويجب ان يبدأ التركيز الدقيق حول أهم المعارف التي دوت في هذا الشأن لأن ما دونّ وكان شفاهياً هو ثمرة هذه الإنتقال . ومن المعروف أن الشفاهية كانت متفشية عند العرب وأول ما دون ككتاب كامل هو القرن الكريم ، وقد تأخر عصر التدوين ، حتى منتصف القرن الثاني اما في علم الفلاحة فلم (يفصل العلماء العرب الذين صنفوا منذ القرن الثاني/ الثامن كتباً بعنوان ((النبات)) أو ((الفلاحة)) لم يفصلوا بين هذين النوعين فصلاً دقيقاً إلا في زمن متأخر يرجع إلى القرون المتأخرة)<sup>(1)</sup> وكذلك يشير الباحث نفسه قائلاً : (ونحن لا نعرف في الوقت الحاضر كتباً عربية تتعلق بالنبات

(1) سزكين ، فواد ، تاريخ التراث العربي ، مج ٤ ، ص ٤٥٥ .

ترجع إلى ما قبل القرن الثاني / الثامن ، فمن الجانب الفلسفي الطبيعي يعد جابر المؤلف الوحيد المعروف الذي صنف كتباً مستقلة في النبات والفلاحة<sup>(١)</sup> .  
ويورد الدكتور توفيق فهد المعروف بإطلاعه الواسع شرقاً وغرباً بهذا المجال مجموعة من المصادر التي كانت الركائز المهمة في نشأة علم الفلاحة والنبات عند العرب ويقسم تلك المصادر إلى :

أ. المصادر المعجمية :- ففي أواسط القرن الثاني هـ/ الثامن م . يذكر : عيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩ هـ/ ٧٦٦ م) ، و خليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٦٠ هـ/ ٧٧٦ م) وسيبويه (ت ١٦١ هـ أو ١٧٧ هـ/ ٧٧٦ أو ٧٩٣ م) ، والكسائي (ت ٢٠٧ هـ/ ٨٢٢ م).  
ويضيف قائمة بإسماء الذين جمعوا المفردات اللغوية العائدة لعلم النبات ومنهم: أبو زيد الكلابي (٢٠٤ هـ/ ٨٢٠ م) في كتاب النوادر . والأصمعي (ت ٢١٦ هـ/ ٨٣١ م) في كتاب النبات والشجر حيث يعطي ٢٧٦ اسماً لنباتات . وأبو زيد الأنصاري (٢١٤ هـ/ ٨٢٩ م) الذي أجمل في صورة كاملة النباتات العربية<sup>(٢)</sup> .

كما يذكر طائفة أخرى من العلماء العرب الذين الفوا في هذا المجال ، فيورد ابن السكيت أستاذ أبي حنيفة الدينوري ، وابن سيده في كتابة المخصص ، ويعتبر ابو حنيفة الدينوري (ت حوالي ٢٨٢ هـ/ ٨٩٥ م) هو مؤسس علم النبات عند العرب . ويخصص فهد حديثاً مطولاً عن مساهمات الدينوري ، ويذكر ان الفضل في التعريف بكتاب هذا العلم النباتي الكبير إلى ب . سيلبربرغ خلال أطروحة نوقشت في بلايسلو عام ١٩٠٨<sup>(٣)</sup> .

ب- المصادر الزراعية :- ويورد الدكتور توفيق فهد مجموعة من الإسهامات المتعلقة بالزراعة من حضارات اليونان والرومان لفلاسفة وأطباء ونباتيين كان لهم شأن في هذا المجال وقد أتينا على ذكرها سابقاً .

ج- المصادر في العلوم النباتية والعقاقير :- ويذكر أولاً كتاب الفيلسوف اليوناني أرسطو المعروف بأسم ((النبات)) والذي شرحه نيقولا الدمشقي وترجمة إلى العربية ثابت بن قرة (ت ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م) ونقحه فيما بعد إسحق بن حنين (ت ٢٩٨ هـ/ ٩١٠ م) .. لقد استعان به المؤلفون العرب في دراستهم لعلم وظائف النبات<sup>(٤)</sup> .

وكذلك كتاب ((أسباب النباتات)) لثيوفراست ، فقد يكون ترجع كلياً أو جزئياً كما يزعم ابن النديم (ت ٣٨٠ هـ) إبراهيم بن بكوس وهو طبيب من بغداد . ويورد أيضاً بعض الكتب التي تعدّ مهمة في هذا الباب نقلاً عن المصادر العربية القديمة إلا إن بعضها مفقوداً<sup>(٥)</sup> .

د- المصادر الجغرافية : فقد كان للجغرافيين أثراً مهماً في أغناء علم الفلاحة والنبات والزراعة من خلال الأوصاف التي ذكروها في رحلاتهم . (فقد ساهمت قصص

(١) المرجع نفسه ، مج ٤ ، ص ٤٥٥ .

(٢) فهد ، توفيق ، موسوعة العلوم العربية ، ج ٣ ، ص ١٠٣٦ .

(٣) المرجع نفسه ، ج ٣ ، ص ١٠٣٧ .

(٤) فهد ، توفيق ، موسوعة العلوم العربية ، ج ٣ ، ص ١٠٤١ .

(٥) المرجع نفسه ، ج ٣ ، ص ١٠٤١ . (ينظر ما بعدها في هذا المجال) .

الاسفار ووصف البلدان في إغناء المصطلحات النباتية عند العرب وسبق أن تجلى ذلك في كتاب ((الفلاحة النبطية)) حيث نجد وصفاً مسهباً لأسفار آدم إلى بلاد الهند وجزيرة سيلان مع أوصاف عديدة وملاحظات عن النبات . وبالإضافة إلى أنواع حملها إلى بلاد ما بين النهرين<sup>(١)</sup> .

ومن الرحالة الذين كان لهم شأن في هذا المجال على سبيل المثال ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧ م) الذي قدم في كتابه ((تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)) المعروف بـ(رحلة ابن بطوطة)) وقد تحدث فيه عن مشاهداته وكل ما بدا له أنه جيد وغريب ومدهش في حقل النبات<sup>(٢)</sup> .

ويورد الباحث حكمت نجيب عبد الرحمن إهتمامات العرب بالنبات فيقول : (أهتم العرب بالنبات والأشجار وأعتنو بها كثيراً ، لما كانوا يحتاجونه من هذه النباتات لرعي ماشيتهم ، وكانت أسماء هذه النباتات تأخذ حيزاً كبيراً من لغتهم ، حيث اتصلت اتصالاً وثيقاً بها ، فدونت معها وحفظت في دواوينهم)<sup>(٣)</sup> . ويعزي سبب ذلك إلى العرب اهتموا بالتصنيف والتدوين في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة وكان هدفهم من التدوين ضبط القرآن والحديث ، فأخذوا في جمع شتات اللغة لكونها أول الوسائل التي تؤدي إلى فهم القرآن ، فألفوا الكثير في جميع مواد اللغة وكان مما اهتموا به وفي تدوينه الزرع والنبات والأشجار والفواكه ، والبقول وغيرها<sup>(٤)</sup> .

ويعدد الباحث عبد الرحمن طائفة من الذين اهتموا بعلم النبات منهم : ابو جعفر محمد بن أحمد الغافقي (ت ٥٦١هـ / ١١٦٥ م) وهو طبيب من الاندلس . وأبو العباس بن الرومية : أحمد بن محمد بن مفرج النباتي المتوفى عام (٦٣٨هـ / ١٢٤٠ م) وهو من أهل اشبيلية بالاندلس ومن أكبر علمائها ، أتقن علم النبات ومعرفة الادوية وقواها ومنافعها واختلاف أوصافها ، وتباين مواطنها وساح بمصر والشام والعراق نحو سنتين<sup>(٥)</sup> .

وكذلك العالم داود الانطاكي (ت ١٠٠٨هـ / ١٥٩٩ م) وهو العلامة الطبيب الضرير داود بن عمر البيصر الانطاكي ، الذي أقام بمصر وكانت له هناك حجرة في المدرسة الظاهرية<sup>(٦)</sup> .

وهناك طائفة أخرى من العلماء الذين لهم باع طويل في معرفة علم النبات والزراعة وأمور فلاحتها ، كل تلك الجهود والمساهمات كانت القاعدة الصلبة لنشأة علم عربي في الفلاحة والنبات .

وفي رأي الباحث ان أهم إسهام في جرد أسماء من كتبوا في النبات باللغة العربية وفي علم الفلاحة في هذه الدائرة المتجاورة من العلوم ، هو فؤاد سزكين ، حيث أورد معلومات قيمة ووافية للدارسين في تتبع هذا العلوم من نبات ، وعلم فلاحه . وسوف

(١) المرجع نفسه ، ج-٣ ، ص ١٠٤٤ .

(٢) المرجع نفسه ، ج-٣ ، ص ١٠٤٥ .

(٣) عبد الرحمن ، حكمت نجيب ، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، ص ٣٢٩ .

(٤) عبد الرحمن ، حكمت نجيب ، دراسات في تاريخ العلوم ، ص ٣٢٩ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ٣٣٢ .

(٦) المرجع نفسه ، ص ٣٣٥ .

نختصر ما ذكره الدكتور فؤاد سزكين من الاعلام الأوائل في هذا المجال ، لمزيد من الإفادة واغناءً للموضوع :-

- ١- **جابر بن حيان** : يعتبر جابر بن حيان (القرن الثاني / الثامن) ، من أقدم من عرفنا من المؤلفين العرب لكتب النبات فقد أفاد أنه صنف بعض الكتب في النبات وكتاباً في الفلاحة . ونخرج من أقواله بالانطباع أن الموضوعات النباتية شغلته ، من جانب لما كان عنده من اهتمام شخصي بعلم النبات ، ومن جانب آخر لأن هذه الموضوعات تعتبر من أهم مكونات الكيمياء العضوية . ولقد رتب جابر تكوين النبات في نظام التكوين عنده في الوسط ، أي بين تكوين الحيوان وتكوين الاحجار . وقد خص على ما يبدو عمل الإكسير من مواد نباتية كتاباً مستقلاً هو كتاب النبات<sup>(١)</sup> .
- ٢- **ابو عمر الشيباني** : وهو أسحاق بن مرار لغوي أديب من الكوفة (توفي ٢٠٥هـ / ٨٢٠ م وقيل ٢٠٦هـ و ٢١٣هـ) فقد وجد أصحاب المعاجم في ما أورده مادة نباتية عدّة مرجعاً مهماً ، استشهد بها من أتى بعده<sup>(٢)</sup> .
- ٣- **أبو زياد** : وهو يزيد بن عبد الله بن الحر الكلابي ، أعرابي بدوي عالم بالأدب عاش في القرن الثاني / الثامن ، في بغداد . وقد ذكرت له استشهادات كثيرة في مجال النبات<sup>(٣)</sup> .
- ٤- **النضر بن شميل** : وهو النضر بن شميل ، من البصرة ، عالم باللغة (توفي عام ٢٠٣هـ / ٢١٨ م) له كتاب كبير بعنوان ((كتاب الصفات)) يحتوي على عدّة كتب في بعضها موضوعات تتعلق بالنبات ك: (الزرع والكرم والعنب وأسماء البقول والأشجار) ومن هذا الكتاب أخذ ابو عبيد في كتابة ((الغريب المصنف)) كذلك صنف النضر بن شميل كتاباً في ((الأشجار)) كان من المصادر المهمة لكتاب الزهري ((التهذيب))<sup>(٤)</sup> .
- ٥- **ابو زيد الأنصاري** : وهو سعيد بن أوس بن ثابت البصري من أئمة اللغة والأدب (توفي عام ٢١٤هـ / ٨٢٩ م) وصل إلينا كتاب بعنوان ((كتاب النبات والشجر)) وقد أخذ من هذا المصنف من أتى بعده من العلماء في اللغة والنبات<sup>(٥)</sup> .
- ٦- **الأصمعي** : وهو ابو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي البصري ، من أئمة اللغة والأدب (توفي عام ٢١٦هـ / ٨٣١ م) من كتبه ((كتاب النبات والشجر)) وله مواد أخرى في علم النبات من خلال تصنيفاته اللغوية<sup>(٦)</sup> .

(١) سزكين ، فؤاد ، تاريخ التراث العربي ، مج ٤ ، ص ٤٩٣ .

(٢) المرجع نفسه ، مج ٤ ، ص ٤٩٤ .

(٣) المرجع نفسه ، مج ٤ ، ص ٤٩٥ .

(٤) المرجع نفسه ، مج ٤ ، ص ٤٩٥ .

(٥) سزكين ، فؤاد ، تاريخ التراث العربي ، مج ٤ ، ص ٤٩٦ .

(٦) المرجع نفسه ، مج ٤ ، ص ٤٩٧ .

- ٧- **ابن الاعرابي**: وهو أبو الله محمد بن زياد الكوفي الأديب اللغوي (توفي عام ٢٣٠هـ / ٨٤٣ م) وله كتاب ((صفة النخل)) وكتاب ((صفة الزرع)) وكتاب ((النبات)) وكتاب ((النبت والبقل)) وقد أخذت منه كتب النبات والمعاجم<sup>(١)</sup>.
- ٨- **أبو نصر**: وهو أحمد بن حاتم الباهلي الأديب اللغوي (ت: ٢٣١هـ / ٨٤٥ م). وقد صنف بعض الكتب في النبات والزراعة، لم يصل إلينا منها إلا شذرات في كتب المتأخرين. وذكرت له بعض الكتب أيضا منها ((كتاب الشجر والنبات)) وكتاب ((اللبأ واللبن)) وكتاب ((الزرع والنخل)). ومن المحتمل جدا أن أبا حنيفة أخذ عن ((كتاب والنبات)) وفي كتابه ((النبات))<sup>(٢)</sup>.
- ٩- **ابن السكيت**: وهو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكوفي الأديب اللغوي (ت: ٢٤٤هـ / ٨٥٨ م) وله كتاب ((النبات والشجر)) يؤخذ من الشذرات الموجودة في المعاجم والمؤلفات النباتية أن كتاب ابن السكيت كان جامعاً شاملاً. فقد حفظ في كتاب ((المخصص)) لابن سيده له شذرات كثيرة. وقد ذهب المستشرق (زلببرغ) الذي أشاد بروعة جمال وصف النبات عند ابن السكيت بالقول إلى أن ابن السكيت كان المعلم الرئيسي في مجال النبات لأبي حنيفة الدينوري<sup>(٣)</sup>.
- ١٠- **أبو حاتم السجستاني**: وهو سهل بن محمد بن عثمان البصري الأديب اللغوي (ت: ٢٥٠هـ / ٨٦٤ م) له كتاب ((في النبات والشجر)) و((كتاب النخلة)) و((كتاب الزرع)) و((كتاب اللبأ واللبن)) و((كتاب الكرم)) و((كتاب العشب والبقل)) وقد أخذ عنه من جاء بعده<sup>(٤)</sup>.
- ١١- **المأمون**: وهو الخليفة العباسي المشهور (ت: ٢١٨هـ) يقول سزكين: لقد ورد في مخطوطة تبحث في الطب والفلاحة والفلك. ورد أنها جمعت من قبل الخليفة المأمون وهي رسالة في الطب والفلاحة على الشهور الرومية<sup>(٥)</sup>.
- ١٢- **علي بن ربن الطبري**: وله كتاب مهم ومشهور هو كتاب ((فردوس الحكمة)) فيه مادة نباتية تخص الطب والعلاج بالنبات والاعشاب وصنع العقاقير منها. وله إسهامات مختلفة في علم النبات<sup>(٦)</sup>.
- ١٣- **ابن ما سوية**: وهو: أبو زكريا يحيى (ت: ٢٤٣هـ / ٨٥٧ م). طبيب نصر إني من أصل سرياني، صنف فيما صنف من كتبه العديد كتابا في الأدوية والعقاقير التي نستخلص من أنواع مختلفة من الحبوب والفواكه وفي استعمالها الطبية الممكنة وقد وصل إلينا كتاب: ((خواص الأغذية والبقول والفواكه واللحوم والألبان وأعضاء الحيوان والأباريز والأفاوية))<sup>(٧)</sup>.

(١) المرجع نفسه، مج ٤، ص ٤٩٨.

(٢) المرجع نفسه، مج ٤، ص ٤٩٩.

(٣) المرجع نفسه، مج ٤، ص ٤٩٩.

(٤) سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، مج ٤، ص ٥٠٠.

(٥) المرجع نفسه، مج ٤، ص ٥٠٠.

(٦) المرجع نفسه، مج ٤، ص ٥٠١.

(٧) المرجع نفسه، مج ٤، ص ٥٠٢.

- ١٤- **حنين ابن إسحاق** : وهو حنين بن إسحاق (ت : ٢٦٠هـ / ٨٧٣ م) يعالج في بعض كتبه موضوعات نباتية وزراعية من وجهة نظر طبية وقد حفظ منها : كتاب البقول وخواصها . مقالة في ماء البقول ، كتاب في الفواكه ومنافعها ، كتاب إصلاح ماء الجبن ومنافعها<sup>(١)</sup> .
- ١٥- **أبو حنيفة الدينوري** : وهو أحمد بن داود بن وند الدينوري (توفي نحو عام ٢٨٢هـ / ٨٩٥ م) البغدادي الأديب اللغوي الموسوعي ، صنفه ابو حيان التوحيدي المتأخر مع الجاحظ وأبي زيد البلخي لتعدد جوانب المعرفة عنده . كذلك أثنى ماير على كتابه ((تاريخ النبات)) وقال عنه المستشرق زليبرغ مدهوشا ((من وصف الدينوري للنبات ، وصف ينطق بالحياة ، قوي بطبيعته واضح المعالم)) وقد كان لكتابه في النبات الاثر البارز لمن أتى وجاء من بعده<sup>(٢)</sup>
- ١٦- **ابن قتيبة** : وهو أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت:٢٧٦هـ / ٨٨٩ م) يبدي في مؤلفاته اهتماما بالنسبة للموضوعات النباتية وإضافه إلى ان في كتابة ((عيون الأخبار)) العديد من الشروح فيما يتعلق بالنبات . وله كتاب ((الجرائيم)) الذي يحمل اسمه في التأليف ، يتضمن باب بعنوان ((باب الشجر والنبات)) وبابا بعنوان ((كتاب النحل والكرم))<sup>(٣)</sup> .
- ١٧- **إسحاق بن عمران** : لقد أفرد إسحاق بن عمران الطبيب الفذ والذي يعمل في شمال أفريقيا إبان عهد زيادة الله بن أغلب الأغلبي (٢٩٠هـ / ٩٠٣ م - ٩٠٧/٢٩٦) مكانا ضخما للموضوعات النباتية في مؤلفاته المتعلقة بالأقرباذين<sup>(٤)</sup> .
- ١٨- **إسحاق بن حنين** : عاش حنين (ما بين ٢١٥هـ/٨٣٠م - ٢٩٨هـ/٩١٠م) صنف رسالة في ((سر البلاذر وبعض أمر استعماله)) ثم مقالة جالينوس في ((سر ثمر البلاذر ومنفعته وتدبيره))<sup>(٥)</sup> .
- ١٩- **قسطا بن لوقا** : قسطا بن لوقا (ت : مطلع القرن الرابع / العاشر) صنف الكتاب الذي وصل إلينا :- كتاب ((النبيد وشربه في الولايم))<sup>(٦)</sup> .
- ٢٠- **الرازي** : وهو ابو بكر محمد بن زكريا (ت:٣١٣هـ / ٩٢٣ م) ألف الكتب التالية في الطب ذات المحتوى الطبي النباتي : ((منافع السكنجبين)) ، ((اتخاذ الجن)) ، ((مقالة في الألبان)) ، ((كتاب الكبير في العطر والانبجات والأدهان)) ، ((مفيد الخاص))<sup>(٧)</sup> .

(١) المرجع نفسه ، مج ٤ ، ص ٥٠٢ .  
(٢) سزكين ، فؤاد ، تاريخ التراث العربي ، مج ٤ ، ص ٥٠٣ .  
(٣) المرجع نفسه ، مج ٤ ، ص ٥٠٩ .  
(٤) المرجع نفسه ، مج ٤ ، ص ٥١٠ .  
(٥) المرجع نفسه ، مج ٤ ، ص ٥١٠ .  
(٦) المرجع نفسه ، مج ٤ ، ص ٥١٠ .  
(٧) سزكين ، فؤاد ، تاريخ التراث العربي ، مج ٤ ، ص ٥١١ .

- ٢١- ابن الجزار : وهو ابو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد (ت: ٣٦٩هـ / ٩٧٩ م) ، له كتاب ذكر فيه النبات هو كتاب ((الاعتماد في الأدوية البسيطة)) وكتاب له ((في فنون الطب والعطر)) فيه موضوعات تدور حول النبات<sup>(١)</sup> .
- ٢٢- ابن جلجل : تكشف كتب الطبيب أبي داود سليمان بن حسان (كان لا يزال حتى النصف الثاني من القرن الرابع / العاشر حيا) يكشف من خلال اهتمامه بصناعة الادوية والعقاقير على علم غزير في علم النبات وخواصه وفعاله ووصفه للنبات على مشاهداته الشخصية<sup>(٢)</sup> .
- ٢٣- علي بن العباس المجوسي : هو علي بن العباس المجوسي (كان في النصف الثاني من القرن الرابع (العاشر حيا) عالج في كتابة الثاني من سفره ((كامل الصناعة)) وفي بعض الابواب ، النباتات الطبية وجعلها فصول على حسب الموضوع ، وله اوصاف مهمة للنبات في مختلف انواعه افاد من جاء من بعده<sup>(٣)</sup> بعده<sup>(٣)</sup> .
- ٢٤- إخوان الصفا : لقد خصصت موسوعة أخوان الصفا (الغالب أنها من القرن الرابع / العاشر) في الرسالة الحادية والعشرين من الأثنين وخمسين رسالة للنبات وقد عزت للنباتات سبع قوى فعالة هي : القوة الجاذبة للعصارة من التربة ، القوة الماسكة لها ، القوة الهازمة ، القوة الدافعة ، القوة الغازية ، القوة النامية ، القوة المصورة .
- ولاخوان الصفا آراء جليلة أخرى في النبات وخواصها في ((الرسالة السابعة من الجسمانيات الطبيعيات في أجناس النبات))<sup>(٤)</sup> .
- والجدير بالذكر هنا ان هؤلاء الاعلام الذين يذكرهم فؤاد سزكين في جردته لعلماء النبات وعلماء الزراعة العرب تنتهي حتى نهاية عام ٤٣٠هـ<sup>(٥)</sup> .

(١) المرجع نفسه ، مج ٤ ، ص ٥١٢ .

(٢) المرجع نفسه ، مج ٤ ، ص ٥١٢ .

(٣) المرجع نفسه ، مج ٤ ، ص ٥١٢ .

(٤) المرجع نفسه ، مج ٤ ، ص ٥١٢ - ٥١٣ .

(٥) ينظر : سزكين ، فؤاد ، تاريخ التراث العربي ، ص ٤٩٣ وما بعدها .

### ثالثاً : كتب الفلاحة العربية الإسلامية :

يعد أغلب الباحثين المهتمين بعلم الفلاحة العربي من أن كتاب الفلاحة النبطية خير شاهد على وضع ومستوى المعارف الزراعية في نهاية القرن الثالث/ التاسع. وقد تبنى المؤلفون الذين أتوا فيما بعد النهج المتبع في هذا المؤلف للاستفادة من الزراعة . لذا بإمكاننا ان نعتبر أن كتاب الفلاحة النبطية قد أرسى بشكل نهائي دعائم زراعة العصور القديمة والوسطى<sup>(١)</sup>. (وبفضل هذه الخطوة ذلك الاجتياز أمكن في تلك الأقطار القيام بعمل زراعي واحداث نوع من الفن الفلاحي . ونجد الأدلة على صحة هذا القول في بلاد الكلدانيين القديمة وفي عائلات الملك التي تعاقبت عليها خلال السنوات الألف الثانية . فقد باشر الكلدانيون أعمالاً عظيمة لتنظيم مجاري مياه الأنهار الكبرى النازلة من المرتفعات الأرمن وجبالها لاستغلال مياهها في أعمال الزراعة بالأراضي الخصبة التي تتطلب الري)<sup>(٢)</sup> .

إن الخبرات التي تراكمت من تلك الحضارات التي عاشت وأقامت لها مشاريع ضخمة في الزراعة وفن الفلاحة ، جعل من تلك المعارف ركناً وتراثاً في هذا المجال . وقد (بقي كتاب الفلاحة النبطية لمدة طويلة المرجع الزراعي الوحيد في الشرق . وكان علينا ان ننتظر القرن الثامن للهجرة / الرابع للميلاد لنخطي بكتاب جديد عن الزراعة : إنه القسم الرابع (الفن الرابع) من كتاب مباحج الفكر لجمال الدين محمد بن يحيى الوطواط الكتبي (ت ٧١٨هـ / ١٣١٨ م) . والذي يستند إلى كتاب الفلاحة النبطية بشكل واسع)<sup>(٣)</sup> .

ولكن بعد هذا الأثر (أتى على أثره مؤلفات يستحقان الذكر : الأول هو كتاب بغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياصين للسلطان اليمني الملك الأفضل العباس بن علي الذي حكم من ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م إلى ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م ؛ الثاني كتاب علم الملاحة في علم الفلاحة كتبه عام ١١٣٧هـ/ ١٧١٥م عبد الغني النابلسي . وهو ملخص لمؤلف كبير عن الزراعة كان قد كتبه الدمشقي راضي الدين أبو الفضل محمد الغزي العمري (ت ٩٣٥هـ/ ١٥٢٩م) . وهو مجموعة منتخبات ذات طابع عملي تعالج معرفة التربة ، الري ، زرع الأشجار ، النباتات العطرة ، والأزهار ، التقليم ، التشذيب والتلقيح ، تحسين الإنتاج ، تطعيم الأشجار المثمرة ، التعاطف ، التشابه ، النفور ، التعارض بين النباتات وعلاج أمراضها)<sup>(٤)</sup> .

ولم تكن كتب الفلاحة التي ألقت في المشرق الإسلامي هي الرافد الوحيد في هذا العلم . بل هناك علوم مساعدة وحافة بها تدخل في تماس مع هذا العلم مباشرة وتستفيد من معطياته واسسه وانتاجيته ، وتشكل كتب الطب والصيدلة في صناعة المراهم والعقاقير والأدوية والسموم رافداً يتداخل مع علم الفلاحة . وكذلك كتب الاعشاب التي

(١) فهد ، توفيق ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ١٠٧٦ .

(٢) بيسيكروسا ، علم الفلاحة عند المؤلفين العرب بالاندلس ، ص ٨-٩ .

(٣) فهد ، توفيق ، موسوعة العلوم العربية ، ج٣ ، ص ١٨٠٢ .

(٤) فهد ، توفيق ، موسوعة العلوم العربية ، ج٣ ، ص ١٠٨٢ .

تستخدم في أغراض السحر والطلسمات وغيرها . كل تلك المنظومة من العلوم تأخذ مادتها من علم الفلاحة والنبات .

ولكن حين بدء الرقي الحضاري في المشرق الإسلامي يحرك ودافع الأمراء في المغرب والأندلس في الاحتذاء بها الكمال التي وصلت إليه الامصار والمدن في الشرق مثل بغداد التي وصلت إلى أوج ازدهارها في إنجاز المعارف . حركت هذه العوامل المغرب والأندلس في معرفة أسباب هذه الرقي الذي عرفه الشرق الإسلامي ، وبدء حملة نقل منظمة لتلك العلوم والمعارف والانطلاق نحو أحداث تغير في مدنها المغربية والأندلسية ، وكان علم الفلاحة و (عرف أدب الزراعة العربية انتشار في الأندلس)<sup>(١)</sup> حيث تأثر جملة من العلماء في الأندلس بكتاب الفلاحة النبطية وأخذوا عنه معارفه في هذا الفن ، الذي أخذ يرسى تقاليد في الأندلس على يد علماء أهتموا به وانتجوا المصنفات الفلاحية والزراعية<sup>(٢)</sup> .

وكانت البدايات كما تذكر أغلب كتب التاريخ الطبقات مع : إعراب بن سعيد القرطبي (ت ٣٦٩ هـ) حيث له كتابا في التقويم الزراعي يدعى ((كتاب الأنواء)) أو ((تقويم قرطبة)) وفيه جملة من أخبار هامه حول أوجه ممارسة النشاط الزراعي في كل شهر ، وقد كان هذا الكتاب بمثابة الغيث الذي انهمر به علم الفلاحة في الأندلس<sup>(٣)</sup> . وعرفت محاولة أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي (ت ٤٠٤ هـ) حيث ان له محاولات جادة في علم الفلاحة وفي الموضوعات الزراعية ، والسبب في ذلك كونه طبيبا في البلاط الأندلسي أيام حكم الخليفة الحكم الثاني ((المستنصر بالله : ٣٥٠-٣٦٦ هـ) . وقد نسب الى الزهراوي (ت ٤٠٤ هـ) مؤلف صغير في الفلاحة في مخطوطة محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس<sup>(٤)</sup> .

إما البداية العملية والمباشرة في التأليف الزراعي وفي علم الفلاحة فكانت مع: أبو مطرف عبد الرحمن ابن وافد اللخمي (ت ٤٦٠ هـ) ويعد أول كتاب في الفلاحة العربية في الأندلس<sup>(٥)</sup> .

ويعد ابن رافد (أحد كبار علماء الأندلس في علوم الطب والصيدلة والنبات أشرف على بستان الناعورة في طليطلة . وعمل فيه لمدة من الزمن ، وحل الى قرطبة والتقى هناك بالعالم الزهراوي حيث أخذ عنه الطب ، فضلا عن بعض المعارف الزراعية)<sup>(٦)</sup> وبعدها أنتقل حيث عمل في أشبيلية وشرف على إنشاء حديقة للمعتمد بن عباد (٤٨٤ هـ)<sup>(٧)</sup> . وقد عمل في هذه الحديقة إلى جانب ابن واحد عالما في الفلاحة آخر هو ابن البصال<sup>(٨)</sup> .

(١) المرجع نفسه ، ج ٣ ، ص ١٠٨٢ .

(٢) الطرابلسي ، بوراوي ، نشأة علم الفلاحة ، ٢٣٤ .

(٣) بيبكروسا ، علم الفلاحة عند المؤلفين العرب ، ص ١٤ . (ينظر : ياسين خضير حسن ، مرجع سابق ، ص ١٦) .

(٤) المرجع نفسه ، ص ١٥ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ١٥ .

(٦) حسن ، ياسين خضير ، طرائق واساليب الزراعة ، ص ١٧ .

(٧) حسن ، ياسين خضير ، طرائق واساليب الزراعة ، ص ١٧ .

(٨) المرجع نفسه ، ص ١٧ .

ويأتي كتاب ((المقنع في الفلاحة)) لأحمد بن محمد بن حجاج الاشبيلي (ت ٤٦٦هـ) ويقول محقق هذا الكتاب : (يبدو ان المصادر الإندلسية غمطته حقه، رغم شهرته العلمية في ذلك الوقت فلا نجد في هذه المصادر ما يشفي الغلة وينير الظلمة . ولعل ذلك يعود إلى إسلافه الثائرين بإشبيليه)<sup>(١)</sup> ولكن باحث آخر يقول عن ابن الحجاج : (يستحق عمل ابن الحجاج ان نتوقف عنده لأنه أدخل إلى علم الزراعة وعلم النبات عند العرب التقليد اللاتيني ممثلاً بقارون (varron) (القرن الاول ق.م) وكولوميل (columelle) (القرن الاول من عصرنا) إلى جانب التقليد الشرقي الذي نقله كتاب الفلاحة النبطية المعروف جيداً من الخبراء الزراعيين في الأندلس)<sup>(٢)</sup> .

وقد ذكر ابن الحجاج مصادر وموارد في كتابه<sup>(٣)</sup> . فقد ذكر ثلاثة وعشرين خبيراً خبيراً في نهاية كتابه<sup>(٤)</sup> . وقد وصفه ابن العوام ((بالشيخ الأجل الفقيه الخطيب الأفاضل))<sup>(٥)</sup> .

ويمثل ابن البصال : ابو عبد الله محمد إبراهيم الطليطلي (القرن الخامس الهجري) إضافة متميزة من خلال كتابة (كتاب الفلاحة) حيث يمتاز كتابه بالإيجاز والاختصار وبروح التجربة الشخصية والمزاولة العملية المباشرة للعمليات الزراعية ، وكان المؤلف يعتمد أن يظهر الروح التجريبية لكتابه فلا ينقل من غير من المؤلفين<sup>(٦)</sup> ويعتبر كتاب الفلاحة لابن بصال مفخرة أهل الأندلس قاطبة .

ويمثل أبو الخير الاشبيلي (القرن الخامس الهجري) . إضافة علمية متميزة في علم الفلاحة في الأندلس ويذكر ببيكروسا : (وهناك مؤلف فلاحى أشبيلي من الوادي الكبير كان رفيقاً للمؤلف السابق (ابن الحجاج) أو استفاد منه هو أبو الخير الذي يكثر ذكره فيما بعد وكتابه وان كان قيماً فقد وصل إلينا في مخطوطات مختلفة . الا ان من العجيب أن ينسب إليه في رسالة طبعت بفاس سنة (١٨٥٧) هجرية كتاب آخر في الفلاحة ليس من نتاجه . بل قام الدليل على أن أجزاء منه هو من عمل ابن وافد نفسه . ولعل السبب في هذه النسبة يرجع إلى سمعة كتاب أبي الخير في الفلاحة مما جعل بعض المؤلفين المحدثين ينسبون إليه كتاباً لم يكن هو بحق مؤلفها . وابن العوام يكثر كذلك من ذكر مؤلفنا هذا)<sup>(٧)</sup> . مما يعرف عن ابو الخير في كتابه أنه (جمع في كتابه الفلاحة معلومات زراعية مختلفة وقد امتزجت معلوماته بين النظرية والتطبيق العملي)<sup>(٨)</sup> .

(١) ابن الحجاج ، أحمد بن محمد بن حجاج الاشبيلي (ت ٤٦٦هـ/١١٧٣م) ، المقنع في الفلاحة ، تحقيق : صلاح جرار و جاسر أبو صفية ، ط ١ ، (منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ، ١٩٨٢م) (مقدمة ج).

(٢) فهد ، توفيق ، موسوعة العلوم العربية ، ج ٣ ، ص ١٠٨٢ - ١٠٨٣ .

(٣) المرجع نفسه ، ج ٣ ، ص ١٠٨٣ (ينظر ابن الحجاج ، مصدر سابق ، ص ١٢٣ - ١٢٤) .

(٤) المرجع نفسه ، ج ٣ ، ص ١٠٨٣ (ينظر ابن الحجاج ، مصدر سابق ، ص ١٢٣ - ١٢٤) .

(٥) ابن العوام ، ابو زكريا يحيى بن محمد العوام الاشبيلي (ت ٥٨٠هـ/١٢٨٤م) كتاب الفلاحة ، (مريد ، ١٨٠٢م) ، ص ٤٥ .

(٦) ابن بصال ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الطليطلي (القرن الخامس الهجري/عشر الميلادي) الفلاحة ، تحقيق : ببيكروسا ، محمد غريمان ، (معهد مولاي الحسن ، تطوان ، ١٩٥٥م) ، ص ٢٩ .

(٧) ببيكروسا ، علم الفلاحة عند المؤلفين العرب ، ص ٤٣ - ٤٤ .

(٨) حسن ، ياسين خضير ، طرائق واساليب الزراعة ، ص ٢٠ .

وبرز في الفلاحة في الأندلس عالما آخر كان له نصيبا مرموقا في التأليف بهذا الفن . هو أبو عبد الله بن مالك المري الطغنجري (القرن الخامس الهجري) ويعد الطغنجري من علماء غرناطة ويلقب بالغرناطي وايضا يلقب (بالحاج) <sup>(١)</sup> . وقد ذكرته مجموعة من المصادر القديمة بأنه صدر أديب ذو حفظ كثير وأدب غزير ، ووصفه لسان الدين بن الخطيب بأنه ((أديب نبيل شاعر ، وكان من أهل الفضل والخير والعلم)) <sup>(٢)</sup> .

إن التطور الذي حصل في الأندلس كان من نتائجه الطبيعية ان تستمر العلوم التطبيقية مواكبته لهذه فإن إبداعات علم الفلاحة استمرت في العطاء مع العلماء الاندلسيين وكان ابن العوام : أبو زكريا يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام الأشبيلي (ت ٥٨٠هـ) من نتائج هذا التطور (وقد أشاد علماء كثر بكتاب ابن العوام اذ قال عنه أنطوان بأسى في التقرير الذي قدمه عام (١٨٥٩ م) إلى الجمعية الوطنية الفرنسية : ((ليس قيمة كتاب ابن العوام في أنه يحتوي الفنون الزراعية القديمة التي تمارس في الأندلس فحسب بل له قيمة ثانية هي الكشف عن ملاحظات العرب في الطبيعة والكيمياء ما كنا نترقب وجودها لديهم)) <sup>(٣)</sup> ، وكذلك يذكر الباحث نفسه نقلا عن (بالنثيا) ان أهمية كتاب ابن العوام كونه يعطينا فكرة عن ازدهار الزراعة في الأندلس الإسلامي وهو أشبه بدائرة معارف تاريخية عن الفلاحة <sup>(٤)</sup> .

إما في صدد أثر كتاب الفلاحة النبطية في مصنف ابن العوام . فيذكر ببيكروسا: ان (المؤلف العربي الوحيد الذي يذكر هذا الكتاب هو ابن خلدون عنه انه استفاد من كتاب الفلاحة النبطية وهذا قول حق لان كتابنا هذا بالغ صاحبه في إيراد الشواهد وأقوال المؤلفين) <sup>(٥)</sup> . فقد ورد عن ابن خلدون : (وترجم من كتب اليونانيين كتاب الفلاحة النبطية منسوبة لعلماء النبط مشتملة في ذلك على علم كبير ولما نظر أهل الملة فيما اشتمل عليه هذا الكتاب وكان باب السحر مسدودا والنظر فيه مخطورا فاقترضوا منه على الكلام في النبات من جهة غرسه وعلاجه وما يعرض له في ذلك وخذفوا الكلام في الفن الآخر منه جملة . واختصر ابن العوام كتاب الفلاحة النبطية على هذا المنهاج وبقي الفن الآخر منه مغفلا نقل منه مسلمة في كتبه السحرية أمهات من مسائله) <sup>(٦)</sup> .

وهنا كلام ابن خلدون مردود عليه ، فإنه اخطأ في بنسبة كتاب الفلاحة النبطية أو أنه ترجم عن اليونانيين وانه لعلماء النبط ، وهذا الخطأ وغيره حول كتاب الفلاحة النبطية دائما ما يقع به الذين لم يطلعوا على الكتاب أصلا قديما وحديثا . وكذلك في حديث ابن خلدون حول ما نقله مسلمة المجريطي في كتابة ((غاية الحكيم)) من سحر من هذا الكتاب فإن أغلب ما يذكر من سحر في كتاب الفلاحة النبطية يأتي ضمن سياق

(١) المرجع نفسه ، ص ٢١ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢١ .

(٣) حسن ، ياسين خضير ، طرائق واساليب الزراعة ، ص ٢٢ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٣ .

(٥) ببيكروسا ، علم الفلاحة ، ص ٤٤ .

(٦) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٣١ .

علم الفلاحة ، فالسحر في كتاب الفلاحة النبطية يذكره المؤلف عند حديثه عن السحرة في عصره الذين كانوا يعملون السحر الزراعي من خلال الاستعانة بقوى النبات وبتأثير الكواكب على خواص هذه النبات ، وقد عرفت كتب طلسمية وسحرية لابن وحشية ربما استفاد منها مسلمة المجريطي والذي يعده ابن خلدون إمام أهل الأندلس في التعاليم والسحريات فلخص جميع تلك الكتب وهدبها وجمع طرقها في كتابه الذي سماه (غاية الحكيم)) ولم يكتب أحد في هذا العلم بعده<sup>(١)</sup> ، وكنا قد بينا لاحقاً موقف مؤلف الفلاحة النبطية من السحر وعرضنا لمنهجه التجريبي العقلاني في الباب الثاني من هذا الموضوع .

وقد بلغت الحضارة في الأندلس درجة مرموقة ومزدهرة وكان التشجيع من طرف الملوك والأمراء دافعا للبحث والتأليف وميدان الفلاحة هو الآخر له علماء ومفكرين أصحاب تجارب ميدانية في الزراعة وعلم الفلاحة ورغم الظروف السياسية التي تعصف بالأقاليم الا أننا نرى ان علم الفلاحة أخذ بالانتساع والتراكم ، فظهر بعد العلماء السابقين منهم العالم : ابو عثمان سعد بن أحمد بن إبراهيم بن ليون التجيبي (ت ٧٥٠هـ) . وكانت له إسهامات مهمة في علم الفلاحة وعلوم أخرى ، وكذلك ظهرت عدة مصنفات مختصرة وشروحات على الكتب المذكورة في علم الفلاحة .

وفي هذا الموضوع يجب ان نذكر كتاب مهم في علم الفلاحة العربي الإسلامي هو كتاب ((مفتاح الراحة لأهل الفلاحة)) والذي ينسب الى مؤلف مجهول ويقول محقق الكتاب (إما المؤلف المجهول فلنا معه وقفه موضوعية : فقد ورد على صفحة العنوان في نسخة برلين رقم ((٦٢٠٨)) . ان المؤلف هو الشيخ الإمام العلامة ابو عبد الله شمس الدين محمد بن وحشية . وقد علق المستشرق السويدي ((كارلو لندبرج)) على صفحة العنوان ان ابن وحشية ليس مؤلف الكتاب وحجته أن المؤلف ينقل عن ابن وحشية<sup>(٢)</sup> .

ويقول المحقق : (ونحن مع تقريرنا لما ذهب اليه لندبرج ، فأنا نضيف أن ابن وحشية كان يعرف بأحمد بن علي بن قيس بن المختار ويكنى بأبي بكر واشتهر بأبن وحشية . ولم يرد في المرجع المصادر التي أطلعنا عليها أنه لقب بشمس الدين أو كني بأبي عبد الله ، مع ملاحظة أن آخر الاخبار التي رويت عن ابن وحشية تعود إلى سنة ٢٩١هـ/٩٠٣ م – وذا ما تجاوزنا وافترضنا جدلاً أنه كتاب إملاه أبو طالب أحمد بن الحسين بن علي الزيات تلميذ ابن وحشية ، فإن أبا طالب الزيات قد توفي في أواخر الرابع الهجري بينما روايته لكتاب الفلاحة النبطية تعود إلى سنة ٣١٨هـ / ٩٣٠ م)<sup>(٣)</sup>

إن الذي يطلع على الكتاب ((كتاب مفتاح الراحة لأهل الفلاحة)) يلاحظ أنه نقل عن ابن وحشية الكثير من المواد وذكره في مواضع مختلفة تجاوزت (٩٠) موضع من

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٣١ – ٣٣٢ .

(٢) مؤلف مجهول ، (القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي) ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، تحقيق ودراسة : محمد عيسى صالحية ، و ، إحسان صدقي العمر ط ١ ، (السلسلة التراثية ، الكويت ، ١٩٨٤م) ، ص ٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧-٨ .

الكتاب ، حيث يبدأ إيراد نقله من ابن وحشية من صفحة ١٧ الى صفحة ٢٧٩ من الكتاب<sup>(١)</sup>.

ويذكر المستشرق الألماني كارل بروكلمان جملة من المختصرات لكتاب الفلاحة النبطية ، وتبلغ تلك المختصرات حوالي عشرة مختصرات واهمها : كتاب ((الأصول الكبير وشمول التدبير)) لمؤلفة عيسى بن محمد التنوخي ، وما جمعه محمد بن إبراهيم بن علي الرقام المرسي (ت ٧١٥هـ/١٣١٥م) ومختصر الفلاحة النبطية لعلي بن حسين بن محمد الحسيني العوفي ((مختصر الفلاحة . وذكر منافع المفردات لعلي حسن بن محمد الزيتوني العوفي<sup>(٢)</sup> .

ويقول بروكلمان : ويدخل في هذا الاتجاه ايضا كتاب ((نزهة الفنون في أربعة فنون)) لمؤلف مجهول . وهو اختصار لكتاب ((مباهج الفكر ومناهج العبر للوطواط)) وكتاب ((علم الملاحة في علم الفلاحة)) لعبد الغني النابلسي ، الذي اختصر به كتاب الغزي ((جامع فوائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة)) وهناك مختصرات أخرى<sup>(٣)</sup> . كل تلك الموارد العربية الإسلامية في مشرق العالم الإسلامي وفي مغربة والاندلس كانت قد تأثرت في كتاب الفلاحة النبطية وما أوردها دليل على أن كتاب الفلاحة النبطية قد اخذ حيز واسع ولكن أبعدت عنه مواد كما يقول بروكلمان منها المادة الوثنية كما حصل في مختصر : علي بن حسين بن محمد الزيتوني العوفي في كتاب ((مختصر الفلاحة وذكر منافع المفردات))<sup>(٤)</sup> .

وهناك دليل آخر على انتشار كتاب الفلاحة النبطية هو ما يورده محقق الكتاب توفيق فهد في تحقيق للكتاب حيث يورد ما يقارب (٢٢) مخطوطة وفي أزمان وتاريخ متعددة من عمر الحضارة العربية الإسلامية<sup>(٥)</sup> .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٨ .

(٢) بروكلمان ، كارل ، تاريخ الأدب العربي ، ج ٤ ، ص ٣٢٢ .

(٣) بروكلمان ، كارل ، تاريخ الأدب العربي ، ج ٤ ، ص ٣٢٢ .

(٤) المرجع نفسه ، ج ٤ ، ص ٣٢٣ .

(٥) ينظر : مقدمة كتاب الفلاحة النبطية وعرض المحقق لتواريخ المخطوطات التي استعملها في تحقيق الكتاب .

## الخاتمة

إن موروث الأمم والشعوب في علم وفن الفلاحة (العمران الزراعي) الذي ابدعته الحضارات المتعاقبة مثل حضارة وادي الرافدين وحضارة وادي النيل، وحضارات مثل اليونانية والرومانية والهندية والصينية والفارسية وعلى امتداد تخوم البحر الأبيض المتوسط.

وقد تفاوتت المعارف الزراعية في العالم القديم حسب تطور كل حضارة مع مراعاة عوامل البيئة الطبيعية وماتوفره للإنسان في التعامل أو صعوبتها ، وقد أنتج العالم القديم في فن وعلم الفلاحة – كما رأيناه في البحث – الكثير من المصنفات او المدونات في هذا المجال.

وعندما حصلت النهضة الحضارية في العالم العربي الإسلامي مع الاسلام وانتشاره وفتح البلدان حدثت عملية ترجمة ونقل وثائق كبير، حيث استفيد من كل الموروث القديم للحضارات في هذا المضمار، وظهرت لدينا مدونات في علم الفلاحة في تراثنا العربي الإسلامي دقيقة وعلمية وتجريبية، اسست لنهضة إنسانية ثانية لاسيما بعد أن أبدع علماء المغرب العربي والاندلس في هذا المجال الكتب والمصنفات مستنداً على ما وصله من المشرق العربي الإسلامي في بابه.

أن دراسة تراثنا في علم الفلاحة ، العمران الزراعي واكتشاف ما خطه ودونه علماءنا في هذا الفن والعلم، وتبيان إنتاجهم الغزير في هذا المجال تعد من اوليات البحث لذا توصل الباحث إلا أن تراثنا غني وثرّ في إبداعاته في مجالات مختلفة، والآحرى بنا ان نتبع الجوانب المضيئة والكشف عنها لأنها تمثل ما توصلت إليه حضارتنا العربية الإسلامية واسهاماتها، وعدم التركيز على الجوانب السياسية والصراعات العقائدية، بل هناك ما هو جدير بالدرس والتقصي في تراثنا.

## المصادر:

- ١- ابن بصال، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الطليطلي (القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي). كتاب الفلاحة، تحقيق: بيبروسا، محمد غريمان، (معهد مولاي الحسن، تطوان، ١٩٥٥).
- ٢- ابن الحجاج، أحمد بن محمد بن الحجاج الاشبيلي (ت: ٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م) المقنع في الفلاحة، تحقيق: صلاح جرار، جاسر أبو صافية، ط١، (منشورات مجمع اللغة العربية الاردني، ١٩٨٢م).
- ٣- ابن العوام، أبوزكريا بن محمد العوام الاشبيلي (ت: ٥٨٠هـ / ١١٨٤م). كتاب الفلاحة، (مدريد، ١٨٠٢).
- ٤- ابن وحشية، أبو بكر أحمد بن علي بن قيس الكسداني النبطي (ت: القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)، كتاب الفلاحة النبطية، تحقيق توفيق فهد، ط١، (المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٩٣م).
- ٥- مؤلف مجهول، (القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي) مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، تحقيق ودراسة: محمد عيسى صالحية، إحسان صدقي العمر، ط١، (السلسلة التراثية، الكويت، ١٩٨٤).

## المراجع:

- ١- أمين ، أحمد، ضحى الإسلام، ط١٠، (دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت).
- ٢- بروكمان، كارل، تاريخ الادب العربي ، نقله : السيد يعقوب بكر، رمضان عبدالنواب، (دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥م).
- ٣- ببيكروسا، خوسي مارية مياس، علم الفلاحة عند المؤلفين العرب بالأندلس، ترجمة: عبد اللطيف الخطيب، (تطوان، معهد مولاي الحسن، المغرب، ١٩٧٥).
- ٤- جاكبسون، ماقبل الفلسفة، ترجمة: جبرا ابراهيم جبرا، ط٣، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢).
- ٥- ديوان الاساطير، مجموعة النصوص في بلاد الرافدين، تحقيق وجمع ومقدمة، قاسم الشواف ، ط٢، (دار الساقى ، بيروت، ١٩٩٦).
- ٦- رياض، محمد الإنسان (دراسة في النوع والحضارة)، ط٢، (دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤).
- ٧- زيعور، علي، الفلسفات الهندية، ط٢، (دار الاندلس ، بيروت، ١٩٨٣).
- ٨- سارتون، جورج، الثقافة الغربية في رعاية الشرق، ترجمة : محمد فروخ، (بيروت، ١٩٦٤).
- ٩- سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، ترجمة : عبدالله بن عبدالله حجازي، ط٢، (طبعة اسماعيليات، قم، ١٤١٢هـ).
- ١٠- سوسة، أحمد، تاريخ حضارة وادي الرافدين (دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٣).
- ١١- الطرابلسي، بواروي، نشأة علم الفلاحة العربي، ط١، (دار الجنوب، تونس، ٢٠٠٦م).
- ١٢- عبدالرحمن، حكمت نجيب، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، ط١، (جامعة الموصل، ١٩٧٤م).
- ١٣- فهد، توفيق وآخرون، موسوعة تاريخ العلوم العربية، إشراف: رشدي راشد، ط١، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٧).
- ١٤- كريم، صموئيل نوح، السومريون (تاريخهم، حضارتهم، خصائصهم)، ترجمة: فيصل الوائلي (وكالة المطبوعات، الكويت، د.ت).
- ١٥- كلارك، جي، التنوير الآتي من الشرق، ترجمة: شوقي جلال ، ط١، (عالم المعرفة، ع: ٣٤٦، الكويت، ٢٠٠٧م).

## الرسائل الجامعية:

- ١ - حسن، ياسين خضير، طرق واساليب الزراعة والري في الاندلس من خلال كتب الفلاحة (رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة الى مجلس كلية الآداب / جامعة بغداد، ٢٠٠٧م).

## **Abstract**

The study tackles agricultural science throughout human civilizations, and its relation with the origin of the Islamic agriculture science. The research consists of two sections : The first sections shows the heritage of agriculture science through ancient civilization, and its most important blogs. The second sections presents the origins of the Arabic and Islamic agricultural science after the acculturation between Islam and other civilization the preceded it took place. The section manifests the important references of the agriculture science in Arab muslim chronologically. The third section focuses on the agriculture science as adopted by Islamic Arab civilization, a Field that flourished after the Arabic East sciences had been transferred to the west and Andalous, and received a great attention by the western and Andalous scientists.

In this period, the books which had been written in this field followed experimented scientific accuracy in recording information, taking out the astrological views and religious superstition.